مجلة اللغة العربية وآدابها علمية محكمة
السنة ١٢، العدد ٤، شتاء ١٤٣٨ هـ
صفحة ٦٩٥- ٧٢٠

Print ISSN: 1735-9767
Online ISSN: 6187-2423
jal-lq.ut.ac.ir

توظيف الاستعارة المفهومية لتكوين المنظومة الأخلاقية في نهج البلاغة
التقوى وهوى النفس أنموذجا (على أساس اللّسانيات المعرفية)

مرتضى قائمي *

أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة بوعلي سينا، همدان

(تاريخ الاستلام: ٢٠١٦/١٢/٢٤؛ تاريخ القبول: ٢٠١٧/٣/١١)

الملخّص

الاستعارة المفهومية من أهم معطيات اللّسانيات المعرفية وعلم الدّلالة المعرفي. على أساس هذه النظرية قسم عظيم من نسقنا التصوري ونظامنا الذهني، استعاريّ طبيعة وفقا لخصائصه الذاتية. الاستعارة تُبنينُ مناهجنا التفكيرية والإدراكية فمعرفتنا في جميع الأبعاد ترتبط ارتباطا وثيقا بالاستعارة. بما أنّ المفاهيم الأخلاقية انتزاعية ماهية وطبيعة لأنّها ترتبط بالخصائص الروحية والفكرية المجردة فللاستعارة دور هامّ في الأخلاق والنصوص الأخلاقية. فمثلا الكرم، الشجاعة، الصبر، الحزم، البخل، الجبن وغيرها من الفضائل والرذائل كلها مفاهيم مجرده غير مجسدة لايمكن تصورها عادة إلّا بالاستعارة. نستطيع أن ندرس كتاب نهج البلاغة بوصفه نصا دينيا أخلاقيا بمناهج مختلفة. هذا البحث يحاول عبر المنهج الوصفي- التحليلي، دراسة المنظومة الأخلاقية لنهج البلاغة من حيث كيفية توظيف الاستعارة لتكوين النظام الأخلاقي بدراسة استعارات «التقوى وهوى النفس» مستخدما نظرية الاستعارة المفهومية. يهدف البحث التعرف على دور الاستعارة في الأخلاق وكيفية بنينة الاستعارة في نهج البلاغة. فرضية البحث هي: أنّ للاستعارات المفهومية دورا هاما في النظام الأخلاقي العلوي وقد استخدم الإمام علي عليه السلام الاستعارات الوضعية والابداعية العديدة والمتنوعة لتعريف وتجسيم المفاهيم الأخلاقية وخاصة مفاهيم التقوى وهوى النفس. تدلّ نتائج هذا البحث على أنّ للاستعارة مكانة متميزة في النظام الأخلاقي العلوي وأنّ الإمام عليّا عليه السلام استخدم الاستعارات البنيوية والأنطولوجية والاتجاهية والإبداعية لتعريف التقوى وهوى النفس وماهيتهما وآثارهما. أهمّ الحقول المبدئية لتعريف التقوى وماهيتها هو الزاد، الحصن، الملجأ، الحاجزة، مطية ذلول، الأرض المناسبة، الماء، الثياب، المنارة، الوسيلة، الإنسان، المنجي، شيء قيم، الغاية، الحبل، الطريق، المطهر، الدواء وأهمّ الحقول المبدئية لتعريف هوى النفس وماهيتها هو الإنسان، العدوّ، الشيء، المطية الجموح، الشريك القرين، المصارع، الجار، الجدار، المدية، البئر، القائد المضلّ.

الكلمات الرئيسة

نهج البلاغة، علم الدّلالة المعرفي، الاستعارة المفهومية، الأخلاق.

---

* الكاتب المسؤول
Email: Mortezaghaemi2@gmail.com

مقدمة

تعتبر اللّسانيات الشّكلانية"، "اللّسانيات الوظيفية" و"اللّسانيات المعرفية" أهمّ النظريات اللّسانية الشائعة في المحافل والمراكز العلمية العالمية في العقود الأخيرة. كلّ من هذه النظريات لها مكانتها في المباحث العلمية اللسانية إلّا أنّ "اللسانيات المعرفية" قد حصلت على مكانة متميزة في العقدين الأخيرين وخاصة في السنوات الأخيرة؛ لأنّها قد واجهت إقبالا عظيما من قِبل الدارسين والعلماء في الحقول المتنوعة لم تنحصر في اللسانيات، بل تعدى إلى علوم مختلفة سايكولوجية، سوسيولوجية و..

تشتمل اللسانيات المعرفية[1] على فرعيات؛ منها علم الدلالة المعرفي[2] و«هو منهج ذو وجهة نفسية ومعرفية في دراسة مواضيع علم الدلالة ظهر منذ عام ١٩٨٠. مما استحدثه الباحثون في علم الدلالة المعرفي وقدموه في مجال دراسة المعنى نظرية النموذج الأول أو الرئيس[3] والاستعارات المفاهيمية[4] وعلم دلالة الأطر[5]. بالنظر إلى الحجم الهائل لما نشر ضمن هذا الإطار، فإن علم الدلالة المعرفي هو أكثر النظريات غزارة في الإنتاج مقارنة بالنظريات الأخرى لعلم الدلالة المعجمي المعاصر» (جيرارتس، ٢٠١٣: ٢٢).

الاستعارة من أهمّ الموضوعات الّتي عني بها العلماء، النقاد، الأدباء واللّسانيون وغيرهم على أساس النظريات المختلفةالأرسطية، الجرجانية والمعرفية الّتي تدرس الاستعارة والعبارات الاستعارية بمناهج يختلف كل عن الآخر في بعض الجهات.

هذا وقد يدّعي لايكوف[6] وجونسون[7] في النظرية المفهومية المعرفية «أنّنا وجدنا باعتمادنا على معطيات لغوية بالاساس، أنّ الجزء الأكبر من نسقنا التصوري العادي، استعارية من حيث طبيعته وبذلك عثرنا على طريقة للشروع في التحديد المفصل للاستعارات التي تُبنين طريقتنا في الإدراك والتفكير والسلوك» (لايكوف وجونسون، ٢٠٠٩م: ٢١).

---

1. Cognitive linguistics
2. cognitive semantics
3. prototype theory
4. conceptual metaphors
5. frame semantics
6. lakoff
7. Johnson

على هذا الاساس وبالعناية إلى مكانة الاستعارة المفهومية في اللسانيات الحديثة، بإمكاننا استخدام هذه النظرية لدراسة النصوص المختلفة منها العلمية والثقافية والدينية.

نهج البلاغة، مصدر زاخر في العلم والأدب والأخلاق، نستطيع أن ندرسه بطرق مختلفة علمية وجمالية «لأنّ بلاغة نهج البلاغة تدلّ على غناء هذا المصدر الزخار وأصالة صدوره من البيان العلوي الفريد بأسلوب منسجم خاص» (ينظر: قاسم فائز، ١٤٣٥: ٤٣١-٤٤٧). فنحاول أن نتعرفعبر المنهج الوصفي- التحليلي، على وجه آخر من الوجوه العلمية الثقافية لنهج البلاغة بدراسة الاستعارات المفهومية فيها المستخدمة في موضوع الاخلاق خاصة التقوى محورا للفضائل وهوى النفس محورا للرذائل. حداثة البحث تعود الى أنّه لم تدرس «مكانة الاستعارة المفهومية ووظيفتها» في تكوين النظام الأخلاقي العلوي في نهج البلاغة؛ فالمطلوب هو الإجابة عمّا يلي:

الف: ما هو دور الاستعارة المفهومية في تكوين المنظومة الأخلاقية في نهج البلاغة؟

ب: ما هو أهم أنواع الاستعارة المفهومية التي استخدمت لتعريف التقوى وهوى النفس في المنظومة الأخلاقية العلوية؟

فرضية البحث هي أنّ للاستعارات المفهومية دورا هاما في النظام الأخلاقي العلوي والإمام علي عليه السلام استخدم الاستعارات الوضعية والابداعية العديدة والمتنوعة تعريف المفاهيم الأخلاقية وتجسيمها وخاصة مفاهيم التقوى وهوى النفس.

وأما بالنسبة لخلفية البحث فأبرز من عمد إلى الدراسة فيموضوع العلاقة بين الاستعارة المفهومية والأخلاق، هما لايكوف وجونسون كما أصدر جونسون كتاب «الخيال الأخلاقي: مستتبعات علم الذهن للأخلاق» عام ١٩٩٣ وتشير بحوث هذا الكتاب إلى أنّ الإنسان أخلاقي وأنّ التفكير الأخلاقي يتحقق بالمفاهيم الاستعارية عادة.

بعد إصدار آثار لايكوف وجونسون ظهرت تأليفات متناثرة حول علاقة الاستعارة بالاخلاق ولكن لم يعثر الدارس على أيّ كتاب أو مقالة يتمحور على دور الاستعارة في الاخلاق في نهج البلاغة وأقرب مقالة عثرنا عليها حول الاستعارة في نهج البلاغة هي مقالة «التحليل المفهومي لاستعارات نهج البلاغة، منهج اللسانيات المعرفية» كتبتها مهتاب نورمحمدي والزملاء ونشرت بمجلة الجمعية الايرانية للغة العربية رقم ٢٢ سنة ١٣٩١ش. تناول الباحثون عددا من الاستعارات في نهج البلاغة بالتحليل والدراسة على أساس نظرية

الاستعارة المفهومية. هناك رسالة جامعية مرتبطة بموضوع تطبيق الاستعارة المفهومية على النص كتبتها جميلة كرتوس تحت عنوان "الاستعارة في ظلّ النظرية التفاعلية" لماذا تركت الحصان وحيدا لمحمود درويش أنموذجا" في جامعة مولود معمري، الجزائر.

لكنّ البحث هذا يريد إلقاء الضوء على قسم خاص من الاستعارات وهي الاستعارات المفهومية المختصة بالأخلاق وبالتحديد التقوى باعتبارها أمّ الفضائل وهوى النفس باعتبارها أمّ الرذائل دارسا دور الاستعارة في تعريف القيم الأخلاقية وكيفية بَنينَة هذه الاستعارات من قبل الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة.

نظرية الاستعارة المعرفية

اللسانيات المعرفية التي بدأت تظهر بقوة وشمول من السبعينات قد سيطرت على النظريات اللسانية وما لبث أن تسربت في العلوم المختلفة وفروع متنوعة من الفلسفة، وعلم النفس وعلم الاجتماع والنقد الأدبي و...

الاستعارة المفهومية من أبرز وأهمّ المباحث في علم الدلالة المعرفي وهي نزعة تجريبية تفاعلية جسّدها كل من جورج لايكوفومارك جونسون اللذان قدّما النظرية التفاعلية للاستعارة المفهومية في ظلّ نظرية الدلالة المعرفية بتاليف كتابهما المشترك: "الاستعارات التي نحيا بها" وأكدا في هذا الكتاب على محورية التجربة في الفكر اللغوي.

مع أننا «نواجه في اللسانيات المعرفية عدّة نظريات لها وجوه مشتركة في الأساس كما في اللسانيات الشكلانية واللسانيات الوظيفية» (دبير مقدم، ١٣٨٣: ٦٦). هذا الاتجاه يعتبر اللغة أداة لتنظيم المعلومات وتجهيزها ونقلها فيعطي أهمية بالغة لدراسة وتحليل الأسس المفهومية والتجريبية للمقولات اللسانية (گيرارتس[1] وكوئينز، ٢٠٠٧: ٣).

نظرية الدلالة المعرفية تعتقد في دراساتها بدور هامّ وخاصّ للاستعارة وتعتبرها وسيلة مناسبة للكشف عن كيفية التفكير وكيفية السلوك اللغوي. (صفوي، ١٣٩٢ش: ٣٦٩) الاستعارة المفهومية «عبارة عن ادراك حقل مفهومي من خلال إدراك حقل مفهومي آخر» (كوچش، ١٣٩٣ش: ١٤). يسمّى الأول حقل المقصد الذي جرى مجرى المستعار له والثاني حقل المبدأ الذي يجري مجرى المستعار منه. كما في "الجدال حرب" التي ندرك بها مفهوم الجدال في

1. Geeraerts and Cuykens, 2007: 3.

إطار مفهوم الحرب واستعارة "النظرية بنايةً" التي ندرك بها مفهوم النظرية من خلال ادراك مفهوم البناية.

«تتسم الاستعارة في ظل النزعة التجريبية التفاعلية لدى كل من لايكوف جورج وجونسون مارك بما يلي:

١. تجمع الاستعارة بين الخيال والعقل فمن متطلبات ومستلزمات العقل نجد الصياغة المقولية، الاستدلال، الاستلزام، الاستنتاج و...

٢. أغلب مقولات فكرنا اليومي استعارية بطبيعتها ومن مقتضيات تفكيرنا اليومي الاستنتاجات والاقتضاءات الاستعارية مما يجعل الاستعارة عقلية خيالية بالدّرجة الأولى» (جميلة كرتوس، ٢٠١١م: ٣٧).

قدّم لايكوف في مقالة "نظرية الاستعارة المعاصرة" نقدا لنظرية الاستعارة التقليدية ورفض تقسيم اللغة على اللغة الحقيقية واللغة الاستعارية (انظر: لايكوف، ١٩٩٢). إذن «إنّ التصورات التي تتحكم في تفكيرنا ليست ذات طبيعة ثقافية صرفهي تتحكم ايضا في سلوكاتنا اليومية البسيطة بكل تفاصيلها فتصوراتنا تُبَنين ما ندركه وتبنين الطريقة التي نتعاطى بواسطتها مع العالم كما تبنين كيفية ارتباطنا بالناس وبهذا يلعب نسقنا التصوري دورا مركزيا في تحديد حقائقنا اليومية وإذا كان صحيحا أنّ نسقنا التصوري في جزء كبير منه ذو طبيعة استعارية فإنّ تفكيرنا وتعاملنا وسلوكاتنا في كلّ يوم ترتبط بشكل وثيق بالاستعارة» (لايكوف وجونسون، ٢٠٠٩: ٢١).

على هذا الاساس « الاستعارة حاضرة في كل مجالات حياتنا اليومية إنها ليست مقتصرة على اللغة بل توجد في تفكيرنا اليومي وفي الأعمال التي نقوم بها أيضا. إنّ النسق التصوري العادي الذي يسير تفكيرنا وسلوكنا له طبيعة استعارية بالأساس (لايكوف وجونسون، ٢٠٠٩: ٢١). فمن أهم ما تدّعيه هذه النظرية، تجريبية الأسس الاستعارية مع الاختلاف في نوعها. كما قيل «أنّ النماذج المعرفية للظواهر الانتزاعية لا تتشكل إلّا على أساس تجاربنا الأصلية والأساسية» (اونكرر وإشميت[1]، ١٩٩٦: ١٢٥).

لابدّ من التأكيد على نسقية التصورات الاستعارية والعلاقات الوثيقة بين الاستعارة المفهومية واستلزاماتها ومقتضياتها التي يشيع استخدامها وتبنى على اساس الاستعارة

1. Ungerer and SCHMID, 1996: 125.

الأصلية المحورية. على سبيل المثال نستخرج من الاستعارة المفهومية "الزمن مالٌ" تعابير استعارية منها:

- لا تضيع وقتك.
- أمنحك وقتي الثمين.
- اشتريت وقته لانجاز مهمتي.

فمن الاستلزامات النسقية لهذه الاستعارة إمكان ضياع المال، اشتراعه وبيعه ومنحه و... المبتنية كلها على اساس استعارة "الزمن مالٌ" التي تشكلت ابتداء في الجهاز المعرفي ثم تجلت في التعابير الاستعارية.

يفترض في هذه النظرية أننا لانتعاطى حياتنا في الأبعاد المختلفة إلا باستعارات منها: "المشاكل عقبات" و"الحياة سفر" و"الفوق أفضلٌ" و...فأهمية الاستعارة خاصة في إدراك الأمور الانتزاعية والذهنية تساوي وتوازي أهمية الحواس في ادراك ما حولنا من الامور الفيزيائية المحسوسة: فالشيء الثمين كالذهب ندركه بالحواس والوقت الثمين ندركه بالاستعارة فلا يختص التفكير الاستعاري بالأدب كما يقول به البعض.

على هذا الاساس «نستطيع أن نحدّد حقلا مبدئيا وحقلا مقصديا لكلّ من جميع الاستعارات مع أنّ إنتزاعية حقل المقصد وعينية وتجريبية حقل المبدأ ممّا نجد في أغلب الاستعارات» (لي[1]، ٢٠٠١م: ٦).

أنواع الاستعارة المفهومية

يقسّم لايكوف وجونسون الاستعارة المعرفية على نمطين: الوضعية والإبداعية ثم يقسمانها على ثلاثة أقسام: الانطولوجية، البنيوية والاتجاهية:

الاستعارات الأنطولوجية

الاستعارات الأنطولوجية تقدم بنيات معرفية محدودة وأقل فسحة بالنسبة إلى الاستعارات البنيوية. الاستعارات الانطولوجية تساعدنا أن ندرك البنيات والحقول المبهمة بوضوح ودقة أكثر (انظر: كوجش، ١٣٩٣ش: ٦٤) وتقسم إلى نمطين:

1. Lee, 2001: 6.

استعارات الكيان والمادة:

«إنّ فهم تجاربنا عن طريق الأشياء والمواد يسمح لنا باختيار عناصر تجربتنا ومعالجتها باعتبارها كيانات معزولي أو باعتبارها مواد من نوع واحد وحين نتمكن من تعيين[1] تجاربنا باعتبارها كيانات أو مواد فإنه يصبح بوسعنا الاحالة عليها ومقولَتُها[2] وتجميعها وتكميمها وبهذا نعتبرها أشياء تنتمي إلى منطقنا... تستخدم الاستعارات الأنطولوجية لفهم الأحداث[3] والأعمال[4] والأنشطة[5] والحالات[6] إننا نتصور الأحداث والأعمال استعاريا باعتبارها اشياء وأنشطة باعتبارها مواد والحالات باعتبارها أوعية» (لايكوف وجونسون، ٢٠٠٩م: ٤٥).

تجربة الفرد مع الأشياء الفيزيائية المحيطة به وخاصة جسده تعدّ أساسا ومرتكزا لاستعارات انطولوجية متنوعة وحين تكون الأشياء غير محدودة المعالم أو غير معزولة بصورة واضحة فإننا نسعى دوما لموقلتها وذلك بفرض حدود اصطناعيةلها بالتالي جعل مختلف الظواهر الفيزيائية أشياء لها حدودها الواضحة والجلية ومنعزلة تماما مثلما نحن كيانات محدودة بمساحات معينة وتستعمل الاستعارات الانطولوجية لقضاء حاجات مثل؛ الإحالة، التكميم، تعيين المظاهر، تعيين الآسباب وغيرها من الوظائف. (جميلة كرتوس، ٢٠١١: ٤٤) فمثلا استعارة "العلم شيءٌ في عبارة «عندي علم» وعبارة "له علوم كثيرة وعديدة" عدّ فيها العلم شيئا يمكن أن يكون عندنا ويمكن أن يكون كثيرا وعديدا واستعارة "الحزن ظرفٌ في عبارة "هو في الحزن العميق" أعتبر فيها الشخص كأنه وُضعت في ظرف مكاني.

التشخيص:

«ربما تكون الاستعارات الأنطولوجية هي تلك الاستعارات التي نخصّص فيها الشيء الفيزيائي لو كان شخصا وهذه الاستعارات تسمح لنا بفهم عدد كبير ومتنوع من التجارب المتعلقة بكيانات غير بشرية عن طريق الحوافز والخصائص والانشطة البشرية كما في:

- لقد خدعتني الدنيا.
- التضخم يلتهم كلّ امتيازاتنا» (جميلة كرتوس، ٢٠٠٩م: ٥٣).

---

1. Identify
2. Categorize
3. Events
4. Actions
5. Activities
6. States

إذن تنسب وتضاف الخصائص البشرية إلى ظواهر غير بشرية في هذا النوع من الاستعارة، (كوجش، ١٣٩٣ش: ٦٥) إضافة السمات والخصائص البشرية إلى ظواهر وأشياء غير بشرية شائعة ورائجة في الأدب وكما في المحاورات اليومية والنصوص العامية.

الاستعارات البنيوية

مفادّ الاستعارات البنيوية أن يبَنين تصور ما استعاريا بواسطة تصور آخر (لايكوف وجونسون، ٢٠٠٩م: ٣٣) قد ترتكز الاستعارات الوضعية ذات التنوع البنيوي (مثل الافكار أغذية) على مشابهات تنشأ من استعارات اتجاهية وأنطولوجية. هذا ما نرى في استعارة " الافكار أغذية" إذ ترتكز على استعارة " الافكار أشياء" (الانطولوجية) وعلى استعارة الذهن وعاء (انطولوجية واتجاهية) (لايكوف وجونسون، ٢٠٠٩م: ١٥٦) «في هذا النوع من الاستعارات يشكل حقل المبدأ بنية غنية نسبيا لادراك حقل المقصد.إذن هذه البنية إوسع وأغنى مما نرى في الاستعارات الأنطولوجية» (كوجش، ١٣٩٣ش: ٦٣) كما في استعارة "الزمان حركة" فنحن ندرك الزمان بحسب الأشياء، مكان الأشياء وحركتها ومبدأ الحركة ومقصدها وأمثال ذلك مما يمكننا من إقامة انطباقات استعارية.

الاستعارات الاتجاهية

إنّ هناك مفهوما استعاريا لا يبنين فيه تصور عن طريق تصور آخر ولكنه على عكس ذلك ينظم نسقا كاملا من التصورات المتعالقة ونسمي هذا النوع بالاستعارات الاتجاهية، إذ أنّ أغلبها يرتبط بالاتجاه الفضائي: عال- مستفل/ داخل- خارج/ أمام- وراء/ فوق- تحت/ عميق- سطحي/ مركزي- هامشي وتنبع هذه الاتجاهات الفضائية من كون أجسادنا لها هذا الشكل الذي هي عليه وكونها تشتغل بهذ الشكل الذي تشتغل به في محيطنا الفيزيائي (لايكوف وجونسون، ٢٠٠٩م: ٣٣) كما في استعارتي "العظمة عالية والهوان دانية"في عبارة «هو في قمة العزة والعظمة» وعبارة «إنك في حضيض الهوان».

الاستعارة والأخلاق

ترتبط القيم الأخلاقية المتجذرة في الثقافات والحضارات والمذاهب الدينية بالاستعارة ارتباطا وثيقا؛ لأنه لا يمكن ادراكها وتبيينها وتصورها إلّا بالاعتماد على الاستعارة كما يعتقد لايكوف وجونسون «أنّه لا يوجد نظام أخلاقي ليس استعاريا» (لايكوفوجونسون[1]، ١٩٩٩: ٣٢٥).

1. Lakoff and Johnson, 1999: 325.

فمثلا التجربة الثقافية والفيزيائية تقدم العديد من الأسس الممكنة لاستعارات التفضية ولهذا السبب يمكن أن يختلف اختيارها واهميتها من ثقافة إلى أخرى (لايكوف وجونسون، ٢٠٠٩: ٣٧). فتنسجم القيم الأكثر جوهرية في ثقافة ما مع البنية الاستعارية لتصوراتها الأكثر أساسية (لايكوف وجونسون، ٢٠٠٩: ٤٠).

بما أنّ البعد الوظيفي للاستعارة يرتبط بتصوير كلّ ما هو ذهني وانتزاعي وتجسيمه وتجسيده ومن جانب آخر الأخلاق كلّها انتزاعيَة إلا في بعض المصاديق؛ إذن الأخلاق مجال فسيح لاستخدام الاستعارة ابتغاء ادراك المفاهيم وتعريفها للآخرين وفي مقام الوعظ والتبشير والانذار. فالمتكلم والواعظ والخطيب والكاتب في الاخلاق بحاجة ماسّة إلى الاستعارة.

هريسون[1] يقول: «هناك مشتركات عديدة بين اللغة اليومية العامة ولغة الدين ويعتقد بنوع من الغرابة في لغة الدين لأننا عندما نتكلم عن الله وصفاته لابدّ لنا من استخدام كلمات مأخوذة من تجاربنا وإن لم يكن الله في حصار تجاربنا وهذا ينتج تلك الغرابة» (هريسون[2]، ٢٠٠٧: ١٢٩-١٣٠).

استعارات التقوى المفهومية

تتمحور الفضائل الأخلاقية في المفاهيم الدينية على التقوى بوصفها حصيلة الإيمان وطريقة وحيدة لإنقاذ الإنسان نفسه. اذن يجعل الإمام عليه السلام مكانة متميزة للتقوى في نظامه الأخلاقي المبنية على المفاهيم القرآنية والسنة النبوية وللاستعارة دور هامّ في مواعظ الإمام عليه السلام وفي تعريف التقوى ومنزلتها وآثارها في الحياة الدنيوية والأخروية. لنفس السبب قد تجلت التقوى في إطار التعابير الاستعارية المستندة إلى التصورات الاستعارية المتنوعة الناظرة إلى أبعاد التقوى المعرفية:

التقوى زاد وعُدّة

أشهر الاستعارات المفهومية وأكثرها استخداما لتعريف التقوى ومكانتها في المنظومة الأخلاقية العلوية هي استعارة "التقوى زاد"التي بنيت على اساس الاستعارة الوضعية البنيوية "الحياة سفر" التي تأسست على ترابطات نسقية داخل تجربتنا. هذه الاستعارة القرآنية قد استخدمت مرات عديدة وفي مواضيع متنوعة في نهج البلاغة كتصور محوريّ لفهم المفاهيم الدينية؛ منها:

1. Harrison
2. Harrison, 2007: 129-130.

- «رَحِمَ اللّهُ امرأً... جَعلَ... التّقْوَى عُدّةَ وَفَاتِهِ» (خ[1] ٧٦).
- «وَلِيَتَزَوّدَ مِن دارِ ظَعنِهِ لِدارِ إقامَتِهِ» (خ ٨٦).
- «لَا خَيْرَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَزْوَادِهَا إِلّا التّقْوَى» (خ ١١١).
- «أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللّهِ بِتَقْوَى اللّهِ الَّتي هيَ الزّادُ وَ... زادٌ مُبلغٌ» (خ١١٤).
- «وَأُمِرتُم فيهَا بِالزَّادِ» (خ ١٨٣).
- «وَانْقَلِبُوا بِصَالِحِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزّادِ» (خ ٢٠٤).
- «وَاستَظهِرُوا بِزَادِ التَّقوَى» (خ ٢٠٤).
- «فَعَلَيْكُمْ بِالْجِدّ وَالْاجْتِهادِ، وَالتّأَهُّبِ وَالْاسْتِعْدادِ، وَالتّزَوُّدِ فِي مَنْزِلِ الزّادِ» (خ ٢٣٠).
- «لَوْ أُذِنَ لَهُمْ فِي الْكَلَامِ لَأَخْبَرُوكُمْ أَنّ خَيْرَ الزّادِ التّقْوَى» (ق ١٣٠).
- «فَتَزَوّدُوا فِي أَيّامِ الْفَنَاءِ لِأَيّامِ الْبَقَاءِ قَدْ دُلِلْتُمْ عَلَى الزّادِ» (خ ١٥٧).
- «وقَدْ أوذِنتُم مِنهَا بِالارتِحالِ وَأمِرتُم فِيها بِالزَّاد» (خ ١٨٣).
- «فإنَّ تَقوَى اللّهِ... وَذخيرةُ مَعادٍ» (خ ٢٣٠).

تشترك العبارات الاستعارية أعلاه في اعتبار التقوى زاد التعريف مكانتها وأهميتها وتصوير دورها المفهومي. فاعتبر الإمام عليه السلام التقوى خير زاد وأفضل ذخيرة لا يمكن البلوغ إلى الغاية المطلوبة ودار الإقامة إلا بها وعلى هذا الأساس عدّ الإمام عليه السلام الدنيا دارا للتزوّد ومنزلا لتوفير التقوى بوصفها عُدّة ليوم الحساب، فالتقوى لها قيمة متجذّرة في الثقافة الاسلامية تجلّت في هذا البناء التصوري. فظهرت التقوى بوصفها حقلا مقصديا في صورة زاد وهي صورة فيزيائية محسوسة معروفة عند الجميع على أساس تجاربهم اليومية في الحياة والمؤمن يتزود التقوى ويبلغ غايته في سفرة الحياة كما يبلغ المسافر إلى مقصده بتوفير الزاد.

التقوى حصن حصين

«اعْلَمُوا عِبَادَ اللّهِ أَنّ التّقْوَى دَارُ حِصْنٍ عَزِيزٍ وَالْفُجُورَ دَارُ حِصْنٍ ذَلِيلٍ لَا يَمْنَعُ أَهْلَهُ وَلَا يُحْرِزُ مَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ» (خ ١٥٧). في هذا التصور المفهومي «استعار لفظ الدار التي تعزّ من تحصن بها ووجه الاستعارة كونها تحصن النفس أمّا في الدنيا فمن الرذائل الموبقة المنقصة الموجبة لكثرة من الهلكات الدنيوية وأمّا في الآخرة فمن ثمرات الرذائل ملكات السوء المستلزمة للعذاب الأليم» (ابن ميثم، ١٤٢٠هـ، ج٣: ٢٥٠) كما في:

---

١. حرف "خ" مخففة للخطبة وحرف " ر" مخففة للرسالة وحرف "ق" مخففة للقصار من الحكم.

«فَاعْتَصِمُوا بِتَقْوَى اللّهِ، فَإِنّ لَهَا... مَعْقِلاً مَنيعاً ذروتُه» (خ ١٩٠) و«وَلا مِعقلَ أحسَنُ مِنَ الوَرَع» (ق ٣٧١).

نتصور التقوى في هذه الاستعارات حصنا عزيزا منيعا يستطيع أن يحافظ على المتقي مقابل التحديات والتهديدات الخارجية كالذنوب والمعاصي. الصيانة والمحافظة من أهم ميزات التقوى فيمفاهيم نهج البلاغة، قد تجلت في هذه الاستعارة المبتنية على استعارة "التقوى كيان ومادة"، ثم "التقوى حصن قوي" تقابله استعارة "الفجور شيء" ثم "الفجور حصن ضعيف" فالتقوى تصون الإنسان من الانحراف عن الصراط المستقيم والفجور لا يحافظ على الفاجر مقابل الشقاوة والانحراف عن الصراط المستقيم.

التقوى ملجأ

«أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللّهِ بِتَقْوَى اللّهِ الّتي... وبها المَعاذُ... وَمعاذٌ مُنجِحٌ» (خ ١٤٤). فنجد التقوى معاذا وملجأ يلتجئ إليها المؤمنون ويعوذ بها المسلمون فينجحون ويسعدون. فأدركنا مفهوم حقل المقصد وهو التقوى بتصور مفهوم حقل المبدأ وهو مفهوم الملجأ الذي هو معهود ومعروف عند المخاطب؛ إذن "التقوى حافظ ومحافظ" للإنسان في:

«(التَّقوَى) ألا فَصُونُوها وَتَصَوَّنُوا بِها» (خ ١٩٤)؛ لأنّ التقوى تصون الإنسان كما يصونه الملجأ مقابل الخطرات والتهديدات الخارجية.

التقوى جُنّة ووعاء

«عِبَادَ اللّهِ أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللّهِ... فإنّ التّقوَى فِي اليَومِ الحِرزُ والجُنّةُ» (خ ١٩١). فظهرت التقوى بمثابة جنّة مهمتها الرئيسية هي الحفاظ على سلامة الإنسان فنستطيع بهذه الاستعارة أن نرى التقوى بوضوح في زيّ شيء فيزيائيّ معروف فظهر مفهوم التقوى بدورها في الصيانة أبرز ما يكون فيتصور المخاطب هذا المفهوم أجلى ما يكون.

التقوى هي الحاجزة بين الإنسان واقتحام الشبهة

«إنَّ مَن صَرَّحَت لَهُ العِبَر عَمّا بَينَ يَديهِ مِنَ المَثُلات حَجَزتهُ التَقوى عَن تَقحُّم الشُّبُهات» (خ ١٦). فتجلّت التقوى (حقل المقصد) في هذه الاستعارة كحاجزة ومانعة قوية (حقل المبدأ) تمنع الانسان أن يدخل في الشبهات والشبهات في هذه العبارة تجسّمت في إطار الاستعارة الظرفية يمكن أن يدخل فيه الفرد.

التقوى هي مطية ذلول

«أَلَا وإِنّ الْخَطَايَا خَيْلٌ شُمُسٌ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا وخُلِعَتْ لُجُمُهَا فَتَقَحّمَتْ بِهِمْ فِي النّارِ أَلَا وإِنّ التّقْوَى مَطَايَا ذُلُلٌ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا وأُعْطُوا أَزِمّتَهَا فَأَوْرَدَتْهُمُ الْجَنّةَ» (خ ١٦).

«لما كانت المطية الذلول من شأنها أن تتحرك براكبها على وفق النظام الذي ينبغي ولايتجاوز الطريق المستقيم بل يصرفها بزمامها وتسير به على تؤدده فيصل بها إلى المقاصد كذلك التقوى فسهولة طريق السالك إلى الله بالتقوى وراحته عن جموح الهوى بهفي موارد الهلكة يشبه ذلّة المطية» (ابن ميثم، ١٤٢٠هـ: ٣٦٧). التقوى في هذه الاستعارة البديعة قد تجسمت كناقة ذلول زمامها بيد صاحبها وتسير نحو الجنة فلاريب في حصول المتقين على الغاية. هذا المفهوم الاستعاري يظهر مكانة ودور التقوى في سعادة الانسان وتدلّ على يقينية نجاح المتقين كما نرى أنّ الخطايا خيل جموح والزمام ليس بيد الراكب ولابد من الورود إلى جهنم. استعارة المطية والجواد والناقة وأمثال ذلك من أنواع الاستعارة الوضعية الأنطولوجية في الثقافة العربية ولكن استخدامها للتقوى ابداعيّ في نهج البلاغة. كما يؤكد الإمام عليه السلام أن يقطع الإنسان يومه على مطية التقوى بمعنى قضاء الزمان بملازمة التقوى:

«وَاقْطَعُوا بِهَا يَوْمَكُم» فالتقوى هنا مطية أُمِرنا أن نقضي بها أيام حياتنا ونبلغ بها غاياتنا المطلوبة والقرينة هي فعل "واقطعوا".

التقوى أرض مناسبة للزراعة

التقوى تمهّد الأرضية المناسبة لتحقيق مطالب الإنسان بأعمالها الصالحة وتجعلها مقبولة عند الله كما أنّ الارض المناسبة تمهد الظروف لازدهار الحرث والزرع؛ اذن يمكن بناء التصور الإستعاري لدور التقوى في النسق التصوري لدى المسلمين:

«لا يَهلِكُ علَى التَّقوَى سِنخُ أصلٍ» (خ ١٦) فالتقوى تلعب نفس الدور التي تلعبه الأرض المناسبة للزراعة والحرث فأصبحت الأرض حقلا مبدئيا لإدراك مفهوم التقوى ودورها في شخصية الانسان فحقل المقصد جانب آخر من أبعاد التقوى وماهيتها وآثارها.

التقوى هي الماء

تظهر التقوى بمثابة مادّة مفيدة في هذا البناء التصوري، تساعد الانسان أن ينمو ويتكامل في طريق السعادة كما أنّ الماء يسبب نمو الاشجار على أساس التجربة البشرية في الحياة. إذن يجسّم الإمام عليه السلام التقوى ماءً يمنع من عطش وجفاف أعمال الإنسان بوصفها زراعة تحتاج إلى الماء حتى تعطي ثمارها اليانعة: «وَلا يَظمَأ عَلَيهَا (التَّقوَى) زَرعُ قَومٍ» (خ ١٦).

التقوى هي الثياب

بنى الإمام عليه السلام مفهوم الملازمة الانتزاعية على مفهوم استعاريّ فيزيائي؛ بحيث جعل مفهوم ملازمة الثياب للجسد لتعريف ملازمة التقوى للقلب:

«فَمَنْ أَشْعَرَ التَّقْوَى قَلْبَهُ بَرَّزَ مَهَلُهُ، وفازَ عَمَلُهُ، فَاهْتَبِلُوا هَبَلَهَا، وَاعْمَلُوا لِلْجَنَّةِ عَمَلَهَا» (خ ١٣٢).

«وَأشعِرُوهَا قُلُوبَكُم» (خ ١٩١). أي اجعلوا التقوى ملازمة لقلوبكم كما يلازم الثياب الجسد؛ فالشعار هو حقل المبدأ والتقوى هي حقل المقصد فاستخدم حقل المبدأ الحسّي المعروف وهو الثياب الملازم للجسد لإدراك حقل المقصد بوصفه فضيلة أخلاقية ممدوحة. والقلب هنا تجسم كإنسان يستطيع أن يلتبس ثيابا على أساس استعارة مفهومية أنطولوجية تشخيصية.

التقوى منارة

تلمح الأبصار في كلام الإمام عليه السلام إلى منارة التقوى وتهتدى بها؛ عندما يقول: «أين العقُولُ المُستَصبِحةُ بِمصابيحِ الهُدَى والأبصارُ اللامِحةُ إلى مَنارِ التّقوى» (خ ١٤٤).

بهذه الاستعارة البنيويةقد ارتدت التقوى بوصفها مفهوما انتزاعيا، رداء محسوسا توجد مرتكزاته في تجاربنا الفيزيائية والثقافية. يجعل هذا التصور مفهوم التقوى في متناول أيدي الأفهام ويمثل هذا التصور الاستعاريّ، أهمية ومنزلة التقوى في المنظوم الأخلاقي العلوي في نهج البلاغة؛ لأنّ المخاطب يتصوّر التقوى كالعَلَم أو ما يقام في الموانيء لتهتدي به السفن.

التقوى وسيلة وآلة

التقوى في نهج البلاغة آلة تقطع حمة الخطايا والذنوب بحيث تعرقل دون الآثار السلبية للجرائم والذنوب؛ فتوظيف الأشياء والآلات للمفاهيم الانتزاعية الأخلاقية نجده بكثرة في أسلوب الإمام عليه السلام البياني: «أَلاَ وبِالتَّقْوَى تُقْطَعُ حُمَةُ اَلْخَطَايَا» (خ ١٥٧) و«وَبادِروا بهَا الحمَامَ» (خ ١٩٤) و«(التقوى) و... أيقِظُوا بِها نَومَكُم» (خ ١٩١). فالتقوى تصون الإنسان مقابل لسعة الذنوب ولدغة الآثام كما تقطع الآلات الحادة حمة العقارب وتصون الأبدان من سموم لسعتها؛ إذن تجسمت الذنوب كالعقارب وتجسدت التقوى كالآلات الحادة القاطعة فهذه الاستعارة تجعل آثار التقوى في الحفاظ على شخصية الإنسان ملموسة محسوسة تدرَك بسهولة ووضوح.

التقوى (إنسان) مدافع عن المؤمنين

تجسّمت التقوى على أساس هذه الاستعارة المفهومية التشخيصية الانطولوجية انسانا قويا يدعم ويحمي المومنين وتُسبب ملازمة الخوف الإلهي لقلوبهم وتُسبب سهر لياليهم للعبادة وتُسبب عطشهم نهارا للصيام فالقيم الثقافية الدينية تنسجم مع التصورات الاستعارية المبنية عليها:

«عِبَادَ اللهِ إِنَّ تَقْوَى اللهِ حَمَتْ أَوْلِيَاءَ اللّهِ مَحَارِمَهُ وَأَلْزَمَتْ قُلُوبَهُمْ مَخَافَتَهُ حَتّى أَسْهَرَتْ لَيَالِيَهُمْ وَأَظْمَأَتْ هَوَاجِرَهُمْ فَأَخَذُوا الرّاحَةَ بِالنّصَبِ والرّيّ بِالظّمَإِ واسْتَقْرَبُوا الْأَجَلَ» (خ ١١٤). فنلاحظ بوضوح علاقة السببية بين التقوى وتوجه المتقين نحو العبادة والطاعة.

التقوى هي المنجى

تتجسّم التقوى في استعارة "التقوى هي المنجي" فهي شخص يأتي وينجي المتقين في مستقبلهم كما ينجيهم في دنياهم. فهذه الخصوصية تجعل التقوى على قمة القيم الأخلاقية باستطاعتها إنقاذ الانسان من المهالك ومن كل ما يهرب الانسان منه في دنياه وفي آخرته فتأكيد الاستعارات والمجازات المفهومية على خصوصية «الحفظ والصيانة» للتقوى ينسجم مع القيم الدينية الأخلاقية التي انعكست في نهج البلاغة:

«أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللّهِ بِتَقْوَى اللهِ وطَاعَتِهِ فَإِنّهَا النّجَاةُ غَداً والْمَنْجَاةُ أَبَداً» (خ ١٦١).

«فَإِنّ تَقْوَى اللهِ... نَجاةٌ مِنْ كُلّ هَلَكَةٍ بِها يَنْجَحُ الطّالِبُ، ويَنْجُو الْهارِبُ وتُنالُ الرّغائِبُ» (خ ٢٣٠).

التقوى شيء قيّم

على أساس هذه الاستعارة المفهومية الانطولوجية نرى التقوى شيئا ذا قيمة غالية يمكن الناصحين أن يتواصوا بها:

«أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَى اللّهِ فَإِنّهَا خَيْرُ مَا تَوَاصَى الْعِبَادُ بِهِ وَخَيْرُ عَوَاقِبِ الْأُمُورِ عِنْدَ اللهِ» (خ ١٧٣). فحقل البدأ هو الشيء القيم الثمين وحقل المقصد هو التقوى التي ندرك مفهومها بتصور الشيء الثمين لأنّ الأشياء الثمينة معروفة محسوسة نراها ونلمسها ونسمع صوتها فإدراك مفهومها ليس بصعب إذن بُني مفهوم التقوى وقيمتها على هذا المفهوم الفيزيائي المحسوس.

كما يوصي عليه السلام الاعتبار بمن أضاع هذا الشيء القيم:

«وَاعْتَبِرُوا بِمَنْ أَضَاعَهَا، وَلَاَ يَعْتَبِرَنّ بِكُمْ مَنْ أَطَاعَهَا» (خ ١٩٤). لأنّ الضياع من سمات الأشياء أستُخدم كحقل المبدأ لتصور مفهوم فقد التقوى. ففقد التقوى يحمّل الانسان خسائر فادحة في دنياه وآخرته كما أنّ فقد الأشياء الثمينة القيمة يكبّد الإنسان خسائر عظيمة.

التقوى هي الغاية والمطلوب

التقوى بوصفها غاية وأهمّ ما يطلبها الله تعالى من الناس، يشير إليها الإمام عليه السلام مستخدما كلمة "منتهي" المأخوذة من الاستعارة العامة "المقصود هو المقصد"الإتجاهية: «وَأَوْصَاكُمْ بِالتّقْوَى وجَعَلَهَا مُنْتَهَى رِضَاهُ وحَاجَتَهُ مِنْ خَلْقِهِ» (خ ١٨٣). وقد أوصى الامام عليه السلام بالتقوى على أساس

استعارة "التقوى شيء" الانطولوجية واستعارة "التقوى حاجة ومطلوب" البنيوية فالتقوى انتهاء سبيل رضى الله وأفضل ما يأمر به الله من الخصائص الأخلاقية والفضائل.

التقوى هي الحبل والعروة

بما أنّ التقوى تعدّ وسيلة للارتقاء والاكتمال والتقرب الإلهي في المنظومة الأخلاقية العلوية، بنى الإمام استعارة على تصور التّقوى حبلا يصعد ويرفع به نحو المطلوب وهذه الإستعاره بنيت على استعارة اتجاهية مرتكزة على التجارب المحسوسة اليومية وهي "العالي هو الأحسن" و"الفوق هو الأفضل" ومن جانب آخر بنيت على الاستعارة الأنطولوجية " التقوى شيء" والاستعارة البنيوية " التقوى حبل" والمهم في الحبل استحكامه لإيصال المتمسك بها إلى المقصود كما أنّ التقوى هي المُبلغ الانسان إلى غايته: «فَاعْتَصِمُوا بِتَقْوَى اللّه، فَإِنّ لَها حَبْلاً وَثِيقاً عُرْوَتُهُ» (خ ١٩٠) و«فَمَنْ أَخَذَ بِالتَّقْوَى عَزَبَتْ عَنْهُ الشَّدَائِدُ بَعْدَ دُنُوِّهَا وَاحْلَوْلَتْ لَهُ الْأُمُورُ بَعْدَ مَرَارَتِهَا وانْفَرَجَتْ عَنْهُ الْأَمْوَاجُ بَعْدَ تَرَاكُمِهَا وأَسْهَلَتْ لَهُ الصِّعَابُ بَعْدَ إِنْصَابِهَا وَهَطَلَتْ عَلَيْهِ الْكَرَامَةُ بَعْدَ قُحُوطِهَا و...» (خ ١٩٨). فالمتمسك بالتقوى يبلغ غايته كما يصعد المتمسك بالحبل الوثيق الوطيد إلى غايته فبنى التصور المفهومي على أساس تجسيم التقوى وتجسيدها.

التقوى هي الطريق

تتجلى التقوى كطريق تنتهي إلى الجنة في العبارة الاستعارية اللغوية التي بنيت على الاستعارة المفهومية الاتجاهية والحركية التي تعتبر التقوى سبيلا وطريقا: «عبادَ اللّه أوصيكم بتقوَى اللّه... فإنّ التقوى... في غدٍ الطريقُ إلى الجنة» (خ ١٩١).

ثم يأتي باستلزامات لهذه الاستعارة تكمّلها وتستند إليها في الدلالة عندما يتكلم عن وضوح مسلكها وربح سالكها وحافظية مستودعها، قائلا: «مَسْلَكَهَا وَاضِحٌ، وَسَالِكَهَا رَابِحٌ، وَمُسْتَوْدَعُهَا حَافِظٌ» (خ ١٩١). فإذا كانت التقوى "طريقا" فالمتقي هو سالك الطريق والبلوغ إلى المقصد نتيجة لوضوح طريق الحق والمقصود (رضوان الله وجنته) هو انتهاء هذا الطريق ومقصد سالكه وسالك هذا الطريق تاجر رابح ايضا يتجر بين المبدأ والمقصد وكلّ هذه الاستعارات من استلزامات استعارة "التقوى هي الطريق" ثم استعارة "المقصود هو المقصد"

التقوى هي المطهِّر (الماء)

تعرّف التعاليم والمفاهيم الدينية الذنوب والخطايا تلوثا ودنسا لا يتطهر الانسان منها إلا بمطهّر قوي والمطهر هو التقوى. على هذا الأساس يؤكد الإمام عليه السلام على تطهّر المؤمنين من

الذنوب بالتقوى والورع فيبنى لها نوعا من الوجود يستند إلى التجارب المحسوسة: «(التقوى) وَارحَضوا بِها ذُنوبَكم» (خ ١٩١) و«فإن تقوَى الله... وَصَلاحُ فَسادِ صُدورِكُم وطُهورُ دنَس أنفسِكُم» (خ ١٩٨). إذن «صَلاحُ فَسادِ صُدُورِكم: أي من الغل والحسد والخبث والنيات المخالفة لأوامر الله، فإنّ التقوى تستلزم نفي ذلك كله» (ابن ميثم، ١٩٩٩م، ج٣: ٤١٧) و«كذلك طهور دنس أنفسكم: أي من نجاسات الرذائل المهلكة» (ابن ميثم، ١٩٩٩م، ج٣: ٤١٧).

التقوى هي الدواء

يؤكد الإمام على عليه السلام أن نداوي أسقامنا بالتقوى: «وَدَاوُوا بِهَا الأَسقَامَ» (خ ١٩١). فالاستعارة البنيوية "التقوى هي الدواء" تعرّف التقوى حلا لمشاكل عديدة جسمية وروحية لأنها تداوي الأمراض القلبية؛ منها الحرص والطمع والحسد و... كما قال علي عليه السلام في استعارات أخري: «فَإِنّ تَقْوَى اللّهِ دَوَاءُ دَاءِ قُلُوبِكُمْ وبَصَرُ عَمَى أَفْئِدَتِكُمْ وشِفَاءُ مَرَضِ ...وَجِلَاءُ عَشَا أَبْصَارِكُمْ» (خ ١٩٨). كما أنها تداوي الأمراض الجسمية: «فإنّ تَقوَى اللّه... شِفاءُ مَرَضِ أجسَادِكُم» (خ ١٩٨).

فتَصورَ الإمام عليه السلام التقوى، دواء محسوسا لعماية القلب وفقد البصيرة وهي مرض يصاب به الإنسان على الصعيد الروحي والحياة الدينية الأخلاقية.

التقوى هي الزّمام

بما أنّ التقوى يحول بين الإنسان واقتراف الذنوب، يبني الإمام عليه السلام مفهومها الانتزاعي على مفهوم استعاريّ محسوس وهو الزمام الذي يتسلط بها الراكب على مطيته ويسوقه حيث يريد ويمنع جموحه وهو نفس دور التقوى في الإحاطة على النفس وربما لهذا التصور الاستعاري علاقة وثيقة بالثقافة العربية والحياة اليومية ودور الناقة والفرس وزمامهما في الحياة آنذاك وأثر ذلك في فهم مفهوم التقوى بوصفها لاعبة دور الزمام للإنسان دون اقتراف الذنوب: «أُوصِيكُمْ عِبَادَ اَللّهِ بِتَقْوَى اَللّهِ فَإِنّهَا الزّمَامُ وَالْقِوَامُ فَتَمَسّكُوا بِوَثَائِقِهَا واعْتَصِمُوا بِحَقَائِقِهَا تَؤُلْ بِكُمْ إِلَى أَكْنَانِ اَلدّعَةِ وأَوْطَانِ اَلسّعَةِ وَمَعَاقِلِ اَلْحِرْزِ ومَنَازِلِ اَلْعِزّ» (خ ١٧١).

التقوى نور

تتجسم التقوى في هذه الاستعارة البنيوية نورا هاديا وضياء لامعاومن أهم ميزاتها إخراج الإنسان من ظلمات الضّلالة والشّبهة:

«أُوصِيكُم بِتَقْوَى اللّهِ... فَإِنّ تَقْوَى اللّهِ... أَمْنُ فَزَعِ جَأْشِكُمْ وضِيَاءُ سَوَادِ ظُلْمَتِكُمْ» (خ ١٩٨). فالتقوى تهدي المؤمنين في طريق السعادة وتنجيهم من مهالك الضلالة كما يهدي

النور الإنسانَ في كلّ طريق يسلكه ويحفظه من الضلالة في كل سبيل يطويه فيكل مكان لا يعرفه. فبما أننا نحسّ النور ونعرف ونرى دوره في حياتنا اليومية، فيمكن إدراك مفهوم التقوى (حقل المقصد) بوضوح بوصفها هادية للإنسان بتصور النور والضياء (حقل المبدأ).

التقوى مفتاح

بما أنّ التقوى شرط أساسي ولها دور رئيسي للورود الى السّداد والصواب والطريق المستقيم، إذن تتمثل التقوى مفتاحا يفتح كل أبواب الخير والصلاح للورود وهذا المفهوم الاستعاري الفيزيائي معهود لكل مخاطب، يجعل أهمية التقوى ودورها مفهوما للمخاطب: «فَإِنّ تَقْوَى اَللّه مِفْتَاحُ سَدَادٍ وذَخِيرَةُ مَعَادٍ وعِتْقٌ مِنْ كُلِّ مَلَكَةٍ ونَجَاةٌ مِنْ كُلِّ هَلَكَةٍ بِهَا يَنْجَحُ اَلطّالِبُ وَيَنْجُو الْهَارِبُ وتُنَالُ الرّغَائِبُ» (خ ٢٣٠).

فنتصور التقوى في هذه الاستعارة بوصفها وسيلة للورود إلى دار الخير والسلامة والسعادة كمفتاح والمفتاح وسيلة للورود إلى المنازل وهي مكان الهدوء والراحة كما أنّ المفتاح يمكننا من الورود إلى كل مكانفيه شيء قيم كالكنز وأمثاله. فالتقوى تلعب نفس الدور الذي يلعبه المفتاح فبالمفتاح (حقل المبدأ) ندرك مفهوم التقوى (حقل المقصد).

التقوى هي الرأس

«جسم الإنسان حقل مبدئيّ مثاليّ في الاستعارة لأنه معهود تماما للجميع ونعرفه جيدا وتشير الدراسات إلى أنّ معظم المفاهيم الاستعارية مأخوذة من اجسامنا» (كوجش، ١٣٩٣ش: ٣٦). يستخدم الإمام عليه السلام عضوا من أعضاء الجسد لتعريف مفهوم انتزاعي عقلي فيجعل التقوى من الاخلاق كالرأس من الجسد؛ يبين بوضوح الدور الفريد والخاص للتقوى في الحياة الدينية والأخلاقية للإنسان: «التُّقَى رَئِيسُ الأَخلاقِ» (ق ٤١٠).

التقوى عزّ وكرامة

قد يجعل الإمام عليه السلام التقوى، مرادفة للكرامة والعزة المصدرين ويتصورها مفهوميا كأصل العزة على اساس المجاز المفهومي علاقته السببية؛ لأنّ التقوى بوصفها حصيلة الايمان تنتهي بلاريب إلى هذه المكانة الشامخة:

«لاَ شَرَفَ أَعْلَى مِنَ الْإِسْلاَمِ، وَلاَ عِزّ أَعَزُّ مِنَ التَّقْوَى» (ق ٣٧١).

«وَلَا كَرَمَ كَالتَّقْوَى» (ق ١١٣). فالتقوى (حقل المقصد) سبب الكرامة ودليل العزة والعظمة (حقل المبدأ).

الانطباق المفهومي بين حقول المبدأ وحقل المقصد (التقوى)

الاستعارات المفهومية للهوى والشهوة

تتمحور الرذائل الأخلاقية على هوى النفس واتباع الشهوات، فاتباع هوى النفس مصدر أساسيّ لظهور الرذائل في روح الانسان وقلبه وتسبب إضلال الناس، إذن يحذّر أمير المؤمنين عليه السلام الجميع مقابل هوى النفس مستخدما التصورات المفهومية المختلفة في تعابير استعارية لأبعادها المتنوعة:

الهوى هو القائد المضلّ

قد يتشخّص هوى النفس ولمرات عديدة في كلام الإمام علي عليه السلام كمن يتبعه الآخرون ويقودهم الهوى. في هذه الاستعارة الانطولوجية يتجلى الهوى انسانا يتصدى قيادة المذنبين والذين يتبعون الشهوات فيحيدهم الهوى عن الصراط ويتخبطهم ويرديهم في النهاية.

«وَإِنّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ اثْنَتَانِ اتِّبَاعُ الْهَوَى وَطُولُ الْأَمَلِ فَتَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا مَا تَحْرُزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَداً» (خ ٢٨).

«إِنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ وَأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ اللَّهِ» (خ ٥٠).

«عِبَادَ اللَّهِ، لاَ تَرْكَنُوا إِلَى جَهَالَتِكُمْ، وَلاَ تَنْقَادُوا لأَهْوَائِكُمْ، فَإِنّ النّازِلَ بِهذَا الْمَنْزِلِ نَازِلٌ بِشَفَا جُرُفِ هَارٍ» (خ ١٠٥).

«أَوْ مَنْهُوماً بِاللّذّةِ سَلِسَ الْقِيَادِ لِلشّهْوَةِ» (ق ١٤٧).

فمن الناس من يسلس قياده ويعطي زمامه للشهوة وهوى النفس وينقاد لشهوته ويتبع هواه فيصبح الهوى هو القائد المضلّ ويصير المذنب هو المتّبع الضالّ الشقيّ الواقع في الفتن

فنتصور الهوى (حقل المقصد) في زيّ القائد المضلّ المهلك (حقل المبدأ) والمذنب (حقل المقصد) في زيّ المتبع الضالّ (حقل المبدأ).

الهوى هو العدوّ

على أساس المعارف الدينية الإنسان في صراع دائم مع هوى نفسه والشهوات النفسانية هي التي تحاول دائما أن تسيطر وتسلط على الإنسان وعقله فتصبح أعدى عدوه وتكابره وقد تأسر عقله وقد تصبح أميره. ففي هذه العبارات الاستعارية تشخص الهوى، إنسانا معاديا للإنسان على أساس التصوّر الاستعاري.

«رَحِمَ اَللّهُ اِمْرَأً... كابَرَ هَوَاهُ وكَذّبَ مُنَاهُ» (خ ٧٦).

«كابر هواه أي يطوع نفسه الأمارة بالسوء بالأعمال الدينية ويراقبها في كلّ خاطر يلقيه إلى نفسه ويقابلها بكسره وقمعه» (ابن ميثم، ٢٠٠٤هـ، ج٢: ٢١٤). فالنفس بمنزلة العدو المغالب كما في:

«وخَسِرَ هُنالِكَ الْمُبْطِلُونَ شَهِدَ عَلَى ذَلِكَ الْعَقْلُ إِذَا خَرَجَ مِنْ أَسْرِ الْهَوَى وسَلِمَ مِنْ عَلائِقِ الدُّنْيَا» (ر ٣).

«كَمْ مِنْ عَقْلٍ أَسِيرٍ تَحْتَ هَوَى أَمِيرٍ» (ق ٢١١) و«... وَقَاتِلْ هَوَاكَ بِعَقْلِكَ» (ق ٤٢٤).

فيستطيع الأنسان أن يخرج من إسارة هواه وأن يهاجم على هواه بسلاح قويّ وهو العقل وهناك كثير من العقول أصبحت أسيرة تحت سيطرة هوى النفس. نجد الهوى (حقل المقصد) في هذه الاستعارات عدوّا قويا (حقل المبدأ) يقدر على هلاك الانسان وعقله ويقدر أن يأسر الإنسان وعقله فيجدر أن نقاتل هذا العدوّ القويّ ونزدري به حتى نسعد وننقذ أنفسنا.

الهوى هو البئر أو الدلو

«... خَبَطَ سَادِراً مَاتِحاً فِي غَرْبِ هَوَاهُ كَادِحاً سَعْياً لِدُنْيَاهُ فِي لَذّاتِ طَرَبِهِ وبَدَوَاتِ أَرَبِهِ» (خ ٨٣).

استعار لفظ الغرب لهواه الذي يملأ به صحائف أعماله من المآثم كما يملأ ذوالغرب غربه من الماء (ابن ميثم، ٢٠٠٤م، ج٢: ٢٧١) فمن يرتكب الذنوب ويقترف الآثام تحت ظلال الهوى ويخزّنها في قوائم أعماله كمن يُخرج المياه من الآبار بالغرب؛ فالماء المأخوذ من بئر الهوى أو غربه ماءٌ مهلك يبيد كلّ من يشربه. إذن تجسم حقل المبدأ (الهوى) بصورة محسوسة يعرفها الجميع. فتحذير الناس من وساوس الهوى بهذا التصور المفهومي والاستعارات المثيلة أعمق أثرا مما ليس فيه استعارات مفهومية متنوعة.

الهوى هو التلوّث

يجسّم الإمام علي عليه السلام الهوى تلوثا يطهّره بالعدل والخير؛ لأنّ الهوى يناسب القذارة والتلوث:

«قَدْ أَلْزَمَ نَفْسَهُ الْعَدْلَ فَكَانَ أَوَّلَ عَدْلِهِ نَفْيُ الْهَوَى عَنْ نَفْسِهِ يَصِفُ الْحَقَّ وَيَعْمَلُ بِهِ لَا يَدَعُ لِلْخَيْرِ» (خ ٨٧).

فيدرك المخاطب مفهوم الهوى الانتزاعيّ بتصور مفهوم التلوث الفيزيائيّ كما تجسم العدل والخير مطهّرينِ لقذارة الهوى.

الشهوة مدية

قد تتجسم الشهوات في إطار الاستعارة المفهوميةكمدية تخرق العقل وتفسده كما يخرَق الثوب والقماش بالمدى، لأنّ الشهوات تسبّب فساد العقل وتسبب فقد استطاعته للتفكير والفهم الصائب: «قَدْ خَرَقَتِ الشَّهَوَاتُ عَقْلَهُ» (خ ١٠٩). فتصور مفهوم الشهوة وسمتها الخارقة والمفسدة مفاهيم انتزاعية ندركها بسهولة في إطار مفهوم المدية الحادة وهو مفهوم حسي معروف.

الشهوات جدار أو سياج أو ثياب

قد يتصور الإمام عليه السلام الشهوات ثيابا تُحَفّ بها الهوادج أو سياجا تُحفّ به الحدائق؛ دلالة على شمولها وإحاطتها:

«أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ» (خ ١١١). كأنّ الشهوات مستديرة حولها كما يحفّ الهودج بالثياب (ابن أبي الحديد، ج٢: ٤٠٦). فالشهوات تحفّ وتغطي الدنيا وتشمل الانسان من جميع الجهات كما تغطي الثياب الإنسان والهوادج أو يحفّ السياج الحدائق والبساتين. فالثياب أو السياج تصور مفهومي مناسب لفهم ملازمة الشهوات الإنسانَ وحضورها في جميع الأمكنة والظروف بأشكال مختلفة لا تترك الإنسان إلّا بالتقوى.

الهوى هو انسان خائن

قد يتظاهر الهوى في التصورات الاستعارية شخصية خائنة يجب أن نتقيه: «اتَّهِمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ واسْتَغِشُّوا فِيهِ أَهْوَاءَكُمْ» (خ ١٧٦).

«اتَّهِمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ» أي إذا رأيتم رأيا يخالف القرآن فاتهموا ذلك الرأي فإنه صادر عن النفس الأمارة بالسوء وكذلك قوله «استغشوا فيه أهواءكم» (ابن ميثم، ٢٠٠٤هـ، ج٣: ٣٣١). فهوى النفس يعامل الأنسان معاملة انسان حاقد مضطغن يجب الحذر منه ويجب أن نتهمه

بفقد الصدق في توصياته وأوامره؛ إذن تجسم هوى النفس كهذا الإنسان الحاقد على أساس تصور استعاريّ تشخيصي.

الهوى هو إنسان (حيّ أو ميّت)

المتقون يسيطرون على شهواتهم ويأخذون زمام الشهوات بأيديهم، فالشهوة المتحكمة عليه والمزمومة على أساس هذه الاستعارة الأنطولوجية التشخيصية تجسدت انسانا مات ولم يستطع الإمارة على المتقين:

«مَنْزُوراً أَكْلُهُ سَهْلًا أَمْرُهُ حَرِيزاً دِينُهُ مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ مَكْظُوماً غَيْظُهُ» (خ ١٨٣).

الهوى هو الجار

هوى النفس من المفاهيم الانتزاعية التي تلازم قلوب الغافلين والمذنبين، إذن يعرّفه الإمام عليه السلام جارا ملازما سيئا يصاحب صاحبه حتى يهلكه:

«... وَالْحَدُّ الثَّالِثُ يَنْتَهِي إِلَى الْهَوَى الْمُرْدِي...» (ر ٤). فاستُخدم مفهوم الجار بوصفه حقلامبدئيا لإدراك مفهوم مصاحبة هوى النفس وملازمته بوصفه حقلا مقصديا محسوسا يمكن إدراكه بسهولة.

الهوى هو المصارع

هذه الاستعارة المفهومية تعرّف الهوى مصارع الإنسان لا يبين عنه إلّا بغلبة الإنسان عليه أو غلبته على الإنسان، ظهرت هذه الاستعارة في تعابير استعارية عديدة، فقد يظهر الهوى مصارعاً يغلب ويستحوذ على الإنسان لولا التربية والتهذيب كما قدر يغلب الإنسان على نفسه بالحذر والتربية الصحيحة:

«وَأَوْرَدْتُ خِصَالاً مِنْهَا قَبْلَ أَنْ... أَوْ يسْبِقَنِي إِلَيك بَعْضُ غَلَبَاتِ الْهَوَى وَفِتَنِ الدُّنْيا» (ر ٣١).

«لكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ، وَيَقُودَنِي جَشَعِي إِلَى تَخَيُّرِ الأَطْعِمَةِ» (ر ٤٥).

«فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللّهِ حَذَرَ الْغَالِبِ لِنَفْسِهِ الْمَانِعِ لِشَهْوَتِهِ النَّاظِرِ بِعَقْلِهِ» (خ ١٦١).

الهوى هو الشريك القرين

الشركة مفهوم واضح للمعاملات والتبادلات التجارية والمالية بين الأشخاص. إذن أصبحت الشركة حقلا مبدئيا للاستعارة المفهومية "الهوى شريك" تجلّت في الاستعارة اللغوية الآتية: «الهَوَى شَرِيكُ العمَى» (ر ٥٣).

النفس هي مطية جموح والنفس إنسان يأمر بالسوء

بما أنّ المطية الجموح تُعرض راكبها للهلاك، أستعيرت لمفهوم النفس التي تجعل الإنسان عرضة للهلاك وتجسّمت النفس كانسان يأمر بالسوء بسبب تحريكها الانسانَ إلى الذنوب المورّطة:

«وَٱمَرَهُ أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ وَيَزَعَهَا عِنْدَ الْجَمَحَاتِ فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ اللَّهُ» (ن ٥٣).

وتجسّمَ المومن المتقى المحيط على نفسه كالملجِم نفسه الآمن من الهلاك:

«...امْرُؤٌ أَلْجَمَ نَفْسَهُ بِلِجَامِهَا وزَمَّهَا بِزِمَامِهَا فَأَمْسَكَهَا بِلِجَامِهَا عَنْ مَعَاصِي اللهِ وقَادَهَا بِزِمَامِهَا إِلَى طَاعَةِ اللهِ» (خ ٢٣٧).

وقد رئي عليه إزار خلق مرقوع فقيل له في ذلك، فقال: «يخشَعُ لَهُ الْقَلْبُ وَتَذِلُّ بِهِ النَّفْسُ» (ق ١٠٣).

فبإمكان المؤمن إلجام نفسه وزمّها وإذلالها كما يلجم الراكب ويزمّ ويذلّ فرسه، فحقل المبدأ هو الفرس وحقل المقصد هو النفس ومفهوم الفرس هو الذي ساعد إدراك مفهوم النفس والسيطرة عليها.

الهوى شيء

في هذا التصور الاستعاري الأنطولوجيّ يتجسم الهوى شيئا فيزيائيا، فمن أحاط بنفسه كأنه تملك نفسه فلا تستطيع نفسه أن تضلّه وتضرّه ويمكن تطهيرها من الدّنس والتلوث:

«فَامْلِكْ هَوَاكَ وشُحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَكَ فَإِنَّ الشُّحَّ بِالنَّفْسِ الْإِنْصَافُ مِنْهَا فِيمَا أَحْبَبْتَ أَوْ كَرِهْتَ» (ر ٥٣).

«إِنَّ تَقْوَى اللهِ طُهُورُ دَنَسِ أَنْفُسِكُمْ» (خ ٨٣).

الشهوة شيء

الأشياء حقل مبدئي كثير الاستخدام في بناء الاستعارات المفهومية الأنطولوجية كما في تصور التقوى المفهومي المتجليفي كلام الإمام عليه السلام. فنجد الشهوة في العبارت الاستعارية شيئا فيزيائيا يمَدّ ويهان على الكريمة نفسه ويمكن لصاحبه النزع عنه كما يقل ويكثر وهذه كلّها من خصائص الأشياء:«إِذَا كَثُرَتِ الْمَقْدُرَةُ قَلَّتِ الشَّهْوَةُ» (ق ٢٤٥).

«... فَرَحِمَ اَللّٰهُ اِمْرَأً نَزَعَ عَنْ شَهْوَتِهِ وقَمَعَ هَوَى نَفْسِهِ» (خ ١٧٦).

«مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ هانَتْ عَلَيْهِ شَهَواتُهُ» (ق ٤٤٩). «الْمَالُ مَادَّةُ الشَّهَوَاتِ» (ق ٥٨).

النفس إنسان

هناك استعارات أنطولوجية تشخيصية عديدة في نهج البلاغة استخدمت لتعريف ماهية النفس وكيفية التعامل معها ودورها في تكوين شخصية الإنسان وعواقب اتباع النفس وآثار تربيتها؛ فقد تجسّمت النفس إنسانا متهما مظنونا باقتراف الذنوب وارتكاب الجرائم فيعيب المؤمن هذه المتهمة ويؤنّبها ويسعى أن ينقذها:

«وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللّهِ أَنّ الْمُؤْمِنَ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمْسِي إِلّا وَنَفْسُهُ ظَنُونٌ عِنْدَهُ فَلَا يَزَالُ زَارِياً عَلَيْهَا وَمُسْتَزِيداً لَهَا» (خ ١٧٦).

وقد أصبحت النفس شخصية تربّيها الإمام عليه السلام حتى تستعدّ ليوم القيامة وتحضر يومَ الحساب آمنة ناجية:

«وَإِنّمَا هِيَ نَفْسِي أَرُوضُهَا بِالتّقْوَى لِتَأْتِيَ آمِنَةً يَوْمَ الْخَوْفِ الْأَكْبَرِ» (ر ٤٥).

«وَايْمُ اللّهِ يَميناً أَسْتَثْنِي فِيهَا بِمَشِيئَةِ اللّهِ عَزّوَجَلّ لَأَرُوضَنّ نَفْسِي رِيَاضَةً تَهشُّ مَعَهَا إِلَى الْقُرْصِ ...» (ر ٤٥).

وقد ظهرت النفس انسانا مُنع ورُدع مما يحبّ مخافة الأضرار التي يصاب بها الإنسان، فحقل المبدأ هو الإنسان وحقل المقصد هو النفس: «واعْلَمْ أَنّكَ إِنْ لَمْ تَرْدَعْ نَفْسَكَ عَنْ كَثِيرٍ مِمّا تُحِبُّ اَلْأَهْوَاءُ مَخَافَةَ مَكْرُوهٍ سَمَتْ بِكَ اَلْأَهْوَاءُ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الضّرَرِ فَكُنْ لِنَفْسِكَ مَانِعاً رَادِعاً» (ر ٥٦).

وقد تجسّمت النفس انسانا يمكن لنا أن نخادعه ونرفق به ولانقهره وندانه ونحكم له ونغويه فأدركنا النفس بصورة إنسان مستقلّ نواجهه ونعامله كما نعامل الناس: «وَخَادِعْ نَفْسَكَ فِي الْعِبَادَةِ وَارْفُقْ بِهَا وَلَا تَقْهَرْهَا وَخُذْ عَفْوَهَا وَنَشَاطَهَا إِلّا مَا كَانَ مَكْتُوباً عَلَيْكَ مِنَ الفَرِيضَةِ» (ر ٦٩).

«... فَهُوَ عَلَى النّاسِ طَاعِنٌ وَلِنَفْسِهِ مُدَاهِنٌ اللّهُوَمَعَ الْأَغْنِيَاءِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الذّكْرِ مَعَ الْفُقَرَاءِ يَحْكُمُ عَلَى غَيْرِهِ لِنَفْسِهِ وَلَا يَحْكُمُ عَلَيْهَا لِغَيْرِهِ يُرْشِدُ غَيْرَهُ وَيُغْوِي نَفْسَهُ فَهُوَ يُطَاعُ وَيَعْصِي...» (ق ١٥٠).

وقدتجسدت النفس كمن يولج صاحبه الشرّ ويدخله طريق الغيّ والهلاك والمسالك الوعرة وهي إنسان يأمر بالسوء ويغرّ الآخرين بالآمال الطويلة ويعبّد الطريق للمعاصي: «وَإِنّ نَفْسَكَ قَدْ أَوْلَجَتْكَ شَرّاً،وَأَقْحَمَتْكَ غَيّاً، وَأَوْرَدَتْكَ الْمَهَالِكَ، وَأَوْعَرَتْ عَلَيْكَ الْمَسَالِكَ» (ر ٣٠) و«... الشّيْطَانُ الْمُضِلُّ وَالنّفْسُ الْأَمّارَةُ بِالسُّوءِ غَرّتْهُمْ بِالْأَمَانِيّ وفَسَحَتْ لَهُمْ فِي الْمَعَاصِي» (ق ٣٢٣).

قد نرى النفس في نهج البلاغة إنسانا يكره أشياء ويتطلب أشياء أخرى كما تحبّ وتقنع وهذه كلها من خصائص الإنسان:

«إِنِ اسْتَصْعَبَتْ عَلَيهِ نَفْسُهُ فِيما تَكرَهُ لَمْ يعْطِهَا سُؤْلَهَا فِيما تُحِبُّ... قانِعةً نَفسُه... مَيتةً شَهوتُه» (خ ١٨٣).

قد تتجسّم النّفس كعدوّ بصراحة أكثر وهي عدوّ يجب قمعه والغلبة عليه وهذا ما نقول بالنسبة إلى سائر الأعداء:

«رَحِمَ اللّهُ امْرَأً نَزَعَ عَنْ شَهْوَتِهِ وَقَمَعَ هَوَى نَفْسِهِ فَإِنّ هَذِهِ النّفْسَ أَبْعَدُ شَيْءٍ مَنْزِعاً» (خ ١٧٦).

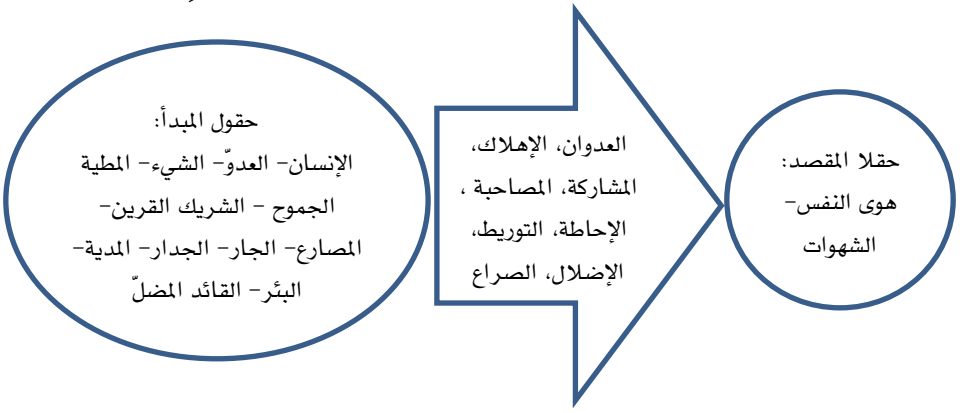

★ الانطباق المفهومي بين حقول المبدأ وحقلي المقصد (هوى النفس، الشهوات)

النتائج

تدلّ النتائج على أنّ للاستعارة المفهومية مكانة متميزة لتعريف التقوى بوصفها المحور الرئيسي للأخلاق وتبيين ماهية التقوى وآثارها في أبعادها المختلفة؛ كما نجد للاستعارة دورا خاصا لتعريف هوى النفس والشهوات بوصفها أمّ الرذائل وبيان ماهيتها وآثارها.

يستخدم الإمام علي عليه السلام أنواع الاستعارة الأنطولوجية، البنيوية، الاتجاهية والإبداعية لتبيين الجوانب المختلفة من الخصائص الأخلاقية الإيجابية والسلبية وخاصة التقوى وهوى النفس والشهوات.

أهمّ الحقول المبدئية لتعريف التقوى وماهيتها هو الزاد، الحصن، الملجأ، الحاجزة، مطية ذلول، الأرض المناسبة، الماء، الثياب، المنارة، الوسيلة، الإنسان، المنجى، شيء قيم،

الغاية، الحبل، الطريق، المطهر، الدواء وأهمّ الحقول المبدئية لتعريف هوى النفس وماهيتها هو الإنسان، العدوّ، الشيء، المطية الجموح، الشريك القرين، المصارع، الجار، الجدار، المدية، البئر، القائد المضلّ.

استعارة *"التقوى زاد"* المبتنية على استعارة *"الحياة سفر"* البنيوية أكثر استخداما بين استعارات التقوى الّتي بنيت عليها استعارات عديدة وتعابير لغوية كثيرة تدل على أنّ التقوى زاد يوصل الانسان الى مطلوبه وسعادته كما أنّ استعارة *"النفس عدوّ"* التشخيصية ومشتقاتها أكثر استخداما بين استعارات النفس وهوى النفس فأهم سمة رآها الإمام عليه السلام في النفس عدوانيتها وإمكانية غلبتها على الإنسان وإضلاله وإهلاكه.

أبرز سمة نجدها في الاستعارات الّتي درسناها، هي أنّ الاستعارة أولا تلعب دورا متميزا في تجسيد وتجسيم المفاهيم الانتزاعية وخاصة الأخلاقية بحيث تضع هذه الاستعارات القيم الأخلاقية محسوسة ملموسة على أساس تجارب الإنسان في الحياة وثانيا يستطيع المخاطب أن يدرك جميع جوانب الموضوع وأبعادها المتنوعة ومدى أهمية الموضوع بواسطة تنوع الاستعارات المستخدمة في النص. كما يلاحَظ التقابل التصوري في الاستعارات المستخدمة لتعريف التقوى وهوى النفس كعامل له أثره في إيقاظ المخاطب وفهم أهمية الموضوع.

المصادر والمراجع

نهج البلاغة.

١. ابن أبي الحديد، عبد الحميد (١٤١٥هـ). شرح نهج البلاغة. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

٢. ابن ميثم بحراني، كمال الدين (١٤٢٠هـ). شرح نهج البلاغة. بيروت: دار الثقلين.

٣. جيرارتس، ديرك (٢٠١٣م). نظريات علم الدلالة المعجمي. ترجمة فريق الترجمة بجامعة الأميرة نورة، الرياض: الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي.

٤. دبيرمقدم، محمد (١٣٨٣ش). زبان شناسي نظري: **پيدايش** وتكوين دستور زايشي. ط ٢، طهران: انتشارات سمت.

٥. صفوي، كورش (١٣٨٣ش). درآمدي بر معناشناسي. ط ٢، طهران: انتشارات سوره مهر.

٦. ـــــــــــ (١٣٩٢ش). درآمدي بر معناشناسي. ط ٥، طهران: انتشارات سوره مهر.

٧. فائز، قاسم (١٤٣٥هـ). "مظاهر البلاغة العلوية في شرح ابن أبي الحديد لنهج البلاغة". فرديس فارابي التابعة لجامعة طهران، مجلة اللغة العربية وآدابها، السنة ١٠، العدد ٣، صص٤٣١-٤٤٧.

٨. كرتوس، جميلة (٢٠١١م). الاستعارة في ظل النظرية التفاعلية: لماذا تركت الحصان وحيدا لمحمود درويش أنموذجا. رسالة الدكتوراه، جامعة مولود معمري، الجزائر.

٩. كوچش، زولتن (١٣٩٣ش) مقدمه‌اي كاربردي بر استعاره. ترجمة شيرين پور ابراهيم، طهران: سمت.

١٠. لايكوف، جورج؛ جونسون، مارك (٢٠٠٩م). الاستعارات التي نحيا بها. ترجمة عبدالمجيد جحفة، ط ٢، المغرب: دار توبقال للنشر.

١١. نهج البلاغة (١٤١٤هـ). تصحيح صبحي صالح، قم: هجرت.

12. Lakoff, G.; & Johnson, M. (1999). **Philosophyin the Flesh**. NewYork: Basic Books.

13. Lakoff, G. (1992). **The cotemporary theory of metaphor**. Cambridge: Cambridge university press.

14. Geeraerts, Dirk; & Cuykens, Hubert (2007). **The Handbook of Cognitive linguistics**. Oxford: Oxford university press.

15. Harrison, victoria, Metaphor (2007). **Religious Language and Religious Experience**. Sophia 46: 127-145.

16. Lee, David (2001). **Cognitive Linguistics, An introduction**. Oxford: Oxford university press.

17. Ungerer, F.; & SCHMID, H. J. (1996). **An introduction to Cognitive linguistics**. British: Longman.